المباحث العقدية
عند الإمام الشعراوي
من خلال تفسيره لسورة البقرة

Detective Creed at Imam al-Shaarawi
Through his interpretation of Surat Al-Baqara

م.د. عدي نعمان ثابت
كلية العلوم الإسلامية - الجامعة العراقية

DR. Odai Noaman Thabt
College of Islamic Sciences
Iraqi University

الملخص

المباحث العقدية عند الإمام الشعراوي من خلال تفسيره لسورة البقرة

لا يخفى على كل طالب علم ما لمفسر هذا العصر الشيخ الشعراوي (رحمه الله) من مكانة علمية سامية حباه الله تعالى بها وما ذاك إلا ببذل جل حياته على كتاب الله تعالى موضحا وشارحا ومفسرا فأحببت من خلال هذا البحث أن ابين موسوعية هذا العالم الفذ وتنوع معارفه في كافة العلوم ومنها علم العقيدة مسلطا الضوء فيه على مباحث الالهيات أبرز قضايا العقيدة أهمية، وكيف تناولها بصورة تتلاقى فيها أصالة الماضي وعمق العلمية مع ثقافة الحاضر وقوة الإقناع.

كلمات مفتاحية: الشعراوي، مباحث العقيدة، الإلهيات.

❊ ❊ ❊

Abstract

Detective Creed at Imam al-Shaarawi Through his interpretation of Surat Al-Baqara

It is not hidden to every student of knowledge What AL-Shaarawy, Of scientific standing, that is by making the bulk of his life on the book of Allah, Explaining and interpreting, I liked through this research to show encyclopedia of this great scholar, And the diversity of his knowledge in all sciences, including science of Creed, Highlighting him in the Investigations of Theology, most prominent Issues of Creed, and how he approached it in a way that converges the originality of the past and the depth of scientific, with the present culture and the power of persuasion.

Key words: AL-Shaarawi, Investigations of Creed divinities.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإن كثيراً من الناس الذين قدّر الله تعالى وجودهم في هذه الحياة الدنيا عاشوا فيها ورحلوا عنها ولم يقدموا شيئا للأمة يذكر، ومنهم من كان على العكس من ذلك إذ لم يرض لنفسه أن يعيش هامشيا دون أن يحقق لدينه ومجتمعه وأمته ما تنتفع به، فبقي ذكره خالدا وشأنه مرتفعا رغم رحيله المادي عن عالمنا، ومن هؤلاء الأفذاذ الشيخ محمد متولى الشعراوي (رحمه الله) الذى أضاء صفحة من صفحات التأريخ بدعوته وفكره النير، وقد نذر جل حياته لكتاب الله تعالى مفسرا وشارحا ومدافعا فيه عن الإسلام، ولونه بألوان العلوم والفنون التي فتح الله تعالى عليه بها من فضله، وكان من جملة هذه العلوم علم العقيدة الإسلامية حيث تناول في تفسيره لسورة البقرة مباحث تخص هذا العلم الشريف بأسلوب فيه من السهولة واليسر ما يستطيع معه كل مثقف وعامي أن يفهم مراده.

فجاء بحثي هذا بعنوان: ((**مباحث العقيدة عند الامام الشعراوي من خلال تفسيره لسورة البقرة**)) ليسلط الضوء على أهم قضية تناولها الشيخ (رحمه الله) من قضايا الدين ألا وهي قضية الإلهيات في باب العقيدة وكيف عرض وعالج وكشف عن الكثير من خبايا مباحثها بصورة تتلاقى فيها أصالة الماضي وعمق العلمية مع ثقافة الحاضر وقوة الإقناع ليتسم بحثه لهذه المسائل بعرض ما هو جديد في هذا المضمار، فأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا العمل خدمة لهذا الدين الحنيف وأهله.

وقد قسم البحث على المقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

ذكرت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج، أسأل الله تعالى القبول والسداد، وصلِّ اللهم على عبدك وخيرتك من خلقك محمد الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين.

❊ ❊ ❊

التمهيد

السيرة الذاتية والعلمية للشيخ الشعراوي (رحمه الله)

أ- اسمه ونسبه وكنيته:

أبو عبد الرحيم محمد بن سيدي متولي الشعراوي، من علماء مصر ينتهي نسبه إلى سلالة بيت النبي ﷺ وهذا ما صرح به في كتابه[١].

ب- ولادته ونشأته وطلبه للعلم:

ولد الشيخ الشعراوي في ١٥ نيسان سنة ١٩١١م، بقرية دقدوس[٢]، مركز مدينة ميت غمر، في مصر من عائلة متوسطة الحال، وكان أبوه حريصا على تعليمه العلوم الشرعية منذ صغره حيث سلمه إلى الكُتّاب وكانت محطته الأولى في طلبه للعلم ليتمَّ فيها حفظ القرآن الكريم في سن الحادية عشرة سنه ، ثم تدرج في التعليم الأولي في معهد الزقازيق الديني الأزهري، حيث أتمَّ مرحلة الابتدائية و الثانوية، ثم التحق بكلية اللغة العربية، ليتخرج منها عام ١٩٤٠م، ثم حصل على الإجازة العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م، وبعد تخرجه عين الشعراوي في المعهد الديني بطنطا، ثم انتقل بعد ذلك إلى المعهد الديني بالزقازيق ثم المعهد الديني بالإسكندرية وبعد فترة خبرة طويلة انتقل الشيخ الشعراوي إلى العمل في السعودية عام ١٩٥٠ ليعمل أستاذاً للشريعة في جامعة أم القرى[٣].

ج- شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ الشيخ الشعراوي على عدد من أكابر علماء مصر آنذاك أذكر منهم:

١- شيوخه:

- الشيخ عبد الرحمن الشهابي وكان من أوائل الذين تعلم الشيخ الشعراوي على يده القران الكريم في الكُتّاب.

---

(١) ينظر: الشعراوي أنا من سلالة أهل البيت، سعيد أبو العينين، د/ ط، ٧.

(٢) دقدوس: بليدة من نواحي مصر في كورة الشرقية. ينظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت، ٢/ ٤٥٨.

(٣) المصدر السابق، ٩.

– الشيخ ابراهيم حرموش: شيخ الأزهر حيث كان شيخا للشعراوي في المعهد الأزهري في الزقازيق، قبل أن يتولى مشيخة الأزهر، وهو من أرسل تلميذه الشعراوي للتدريس في كلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٩٥٠م.

–محمد محيي الدين عبد الحميد: رائد حركة التحقيق العلمي الحديثة وشيخ الشعراوي في المدرسة الدينية وفضله ممتدا ليس على الشيخ الشعراوي وحسب بل وعلى غيره من أهل العلم وطلابه (رحمه الله)، وغيرهم من العلماء الكثير الذين يطول بنا المقام حصرهم واستقصائهم في البحث[١].

٢– تلاميذه:

نظراً للمكانة العلمية التي تمتع بها الشيخ الشعراوي والمناصب التي عين فيها وشغلها إضافة الى الدروس التي كان يقيمها في المساجد، والمؤسسات العلمية، والكتب التي ألفها وسفره إلى كثير من البلدان العربية والعالمية كل ذلك خلف عدد كبيرا من طلبة العلم الذين تتلمذوا على يديه ولا زال الكثير منهم بعد موت الشيخ يتتلمذون على ما خلفه من تراث علمي زاخر حظي البحث باهتمام طلبة العلم وأهله.

د– مؤلفاته:

خلف الشيخ الشعراوي (رحمه الله) كما علميا زاخرا في شتى فنون العلوم الشرعية بلغت أكثر من ستين مؤلفا وسأذكر بعضا منها طلبا للاختصار وكما يأتي:

– خواطر الشيخ الشعراوي وهذا من أهم وأكبر مؤلفاته إذ يعد أول تفسير شفويا عرضه الشيخ (رحمه الله) من خلال القنوات المرئية والمسموعة[٢].

– معجزات الرسول ﷺ القاهرة: دار المسلم، ١٤٠١ هـ.

– شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها جمع وإعداد وترتيب– بيروت، دار القلم.

– اسماء الله الحسنى، مطابع أخبار اليوم رقم الايداع، ٩٣/ ٨٤١٠ ، مصر.

– الفقه الاسلامي الميسر وأدلته الشرعية على طريقة السؤال والجواب، مركز التراث الاسلامي، مصر،

---

(١) ينظر: الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، ٢١–٤٢، ومذكرة إمام الدعاة، ٣٢–٣٣، و محمد متولي الشعراوي وجولة في فكره الموسوعي، ٢٠، نقلا عن منهج الشيخ الشعراوي في قضايا العقيدة، ٢٠–٢١.

(٢) ولو أن الشيخ لم يسمه تفسيرا في افتتاحيته ولعله والعلم عند الله تواضعا منه أذ قال: «خواطري حول القران الكريم لا تعني تفسيرا للقران، وإنما هي هبات صفائية تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات».

ينظر: خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، ذكر هذا الكلام في المدخل قبل الدخول في تفسير الآيات.

القاهرة، طبع سنة، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م[1].

هـ- وفاته: في صبيحة يوم الأربعاء ٢٢ صفر ١٤١٩هـ الموافق ١٧/ ٦/ ١٩٩٨م انتقلت الروح إلى باريها، عن سبعة و ثمانين عاماً و شهرين وستة عشر يوما و دفن في قريته دقدوس، رحم الله الشيخ الشعراوي، وعفا عنه، وجازاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء اللهم آمين.

❊ ❊ ❊

(١) تَكملَة مُعجم المُؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م)، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ٣١٣.

المبحث الأول

أدلة وجود الله تعالى عند الشيخ الشعراوي

*** المطلب الأول: أدلة وجود الله تعالى**

هذا المبحث من المباحث المهمة التي لها تعلق كبير بمبحث توحيد الله تعالى، إذ يُعد الأساس الذي يرسم لسالك طريق المعرفة مسيره بعد النظر في حقائقه وما يفرزه من نتائج، تكون العمدة في بيان المنهج الذي يسير عليه صاحبه في تحديده للمفاهيم الرئيسة في باب أصول الدين، فهو كالأساس بالنسبة للبناء، والمذاهب العقدية عامة على اختلاف مشاربهم متفقون على وجوب معرفة الله تعالى[1]؛ وإن اختلفت أدلتهم التي صاغوها بناء على ما أصل له كل مذهب من المذاهب في هذه القضية، لأن الهدف منها يصب في دائرة واحدة وهي معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وقد تطرق الشيخ الشعراوي في تفسيره إلى هذه القضية المهمة ونبه إليها وعرضها بطريقة فيها من السهولة واليسر ما يستطيع فهما العامي فضلاً عن العالم، ومن الأدلة التي ساقها في تفسيره (رحمه الله) ما يأتي:

*** أولا: دليل الفطرة:**

من الأدلة التي نبه الشيخ الشعراوي عليها في هذا الجانب دليل الفطرة وأنها من أساسيات هذا الباب وهذا ما يمكن أن نستشفه في معرض بيانه لقوله تعالى: ((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)) (البقرة ٤٠) ساق مثالاً وضح فيه أهمية هذا الدليل فقال: « إذا هبط الإنسان في مكان ليس فيه أحد ثم نام وقام فوجد مائدة حافلة بالنعم أمامه ألا يسأل نفسه: من

---

(١) إلا أن الخلاف الذي دار بين المذاهب العقدية هو في الموجب، فذهبت المعتزلة إلى أن معرفة الله تعالى تجب بالعقل وتدرك به فقط، وذهبت الأشاعرة إلى أنها تجب بالشرع والعقل يعضده، وذهبت الماتريدية، إلى أنها تجب بالعقل والشرع يعضده، أما أهل الأثر فبعضهم وافق متكلمو أهل السنة، وذهب غالبهم إلى أن معرفة الله تعالى تجب بالشرع وتحصل به. ينظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر (تـ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، ١٣٥ط/ ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. والقواعد في العقائد، للغزالي، ٩١. واتحاف السادة المتقين، محمد بن محمد الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط/ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ٢/ ٨٦. وعمدة المريد لجوهرة التوحيد، للشيخ ابراهيم اللقاني،(تـ ١٠٤١) تحقيق، رياض جلوب جاسم العيساوي، ٩٠.

صنع هذا؟ لو أنه فكر قليلا لعرف أنه لابد أن يكون لها من صانع خصوصا أن الخلق هنا فوق قدرات البشر، فإذا أرسل الله سبحانه وتعالى رسولا يقول إن الله هو الذي خلق وأوجد، ولم يوجد مدع ولا معارض نظرا؛ لأن إيجاد هذه النعم فوق قدرة البشر تكون القضية محسومة لله سبحانه وتعالى، إذاً فذكر الله وشكره واجب بالفطرة السلمية، لا يحتاج إلى تعقيدات وفلسفات، والوفاء بعهد الله أن نعبده ونشكره هو فطرة الإيمان لما أعطاه لنا من نعم»[١].

فالشيخ الشعراوي وإن كان يتكلم على مسألة ذكر الله تعالى وشكره على وافر نعمه على بني إسرائيل إلا أنه ربط هذا الدليل بقضية إيجاد الأشياء وصنعها مع دعوة الانسان الى التفكر في الموجد لها، وصاحب الفطرة السليمة مقر ومعترف بأن الذي أوجدها يستحق الشكر والثناء، وهذا الدليل أي – الفطرة – من الأدلة التي نَبَّه عليها القرآن الكريم، فالفطرة السليمة مغروز فيها الإقرار بوجود الرب الخالق، والنفوس الإنسانية تشهد بضرورة وجوده، والمقصود بالفطرة ذلك الشعور الغـامر الذي يملأ على الإنسان أقطـار نفسه إقراراً بخالقه، وتألهـاً له، والالتجاء إليه بحيث لا يستطيع دفعه ولا يملك رَدّه، والشيخ الشعراوي موافقا بهذا لما عده من سبقه من أهل العلم دليلاً صريحاً موصلاً لوجود الباري جل في علاه كونه مكنوناً في كيان الإنسان وقرارات نفسه، وهذا المكنون في قرارات النفس هو الفطرة التي فُطر الناس عليها[٢].

*** الدليل الثاني: دليل العناية بالإنسان وتسخير الموجودات له:**

ومن الأدلة على وجود الله تعالى التي نبه الشيخ الشعراوي (رحمه الله) عليها في تفسيره شأنه في ذلك شأن متكلمي أهل السنة هو: دليل العناية بالإنسان وما أعده الله تعالى إليه من إمكانات استبقاء الحياة الرغيدة[٣]، وأنه سبحانه لم يخلق عباده ويتركهم هملا، بل سخر لهم كل ما في السماوات والأرض لأداء ما هو مطلوب منهم تحقيقه وهو إفراده سبحانه بالوحدانية واقرارهم إليه بالعبودية، وهذا ما نطالعه عند تفسيره لقوله تعالى: ((نَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) (البقرة: ١٦٤).

---

(١) خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي (ـتـ: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.، ١/ ٢٩٠.

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة – بيروت ط/ ١، ١٣٨٦هـ، تحقيق حسنين محمد مخلوف، ٢/ ٤٣٧. والمسامرة، بشرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، للإمام كمال الدين بن محمد بن أبي شريف المقدسي، ت٩٠٦، تحقيق، صلاح الدين الحمصي، ١٤٣٠-٢٠٠٩، ٦٦-٦٧.

(٣) ينظر: الخواطر، للشعراوي، ١/ ١٨٨.

إذ قال: «إن الله سبحانه برحمته خلق الإنسان منعماً عليه، وخلق كل ما في الكون نعمة له، ويلفتنا إلى الدليل على هذه القضية بالكون نفسه، ويحدد مظاهر في الكون لم يدع أحد أنه خلقها وأوجدها، فإذا ما جاء الناس الذين لا يؤمنون بالإله الواحد يزحزحون الألوهية إلى سواه نقول لهم: هذا الكون العجيب الذي يتمثل في الأرض ويتمثل في السماء، ويتمثل في اختلاف الليل والنهار، ويتمثل في الفلك التي تجري في البحر، ويتمثل في ما أنزل الله من السماء من ماء، ويتمثل في السحاب المسخر بين السماء والأرض؛ كل هذه الآيات أي الأمور العجيبة تلفت إلى أن موجدها أعظم منها إنه سبحانه يريد أن ينبه العقل إلى أن يستقبل نعمة الوجود في ذاته وفي الكون المسخر له ليستنبط من هذه الآيات العجيبة صدق الله في قوله عزوجل: ((وإلهكم إله وَاحِدٌ)) ، لأنه ليس من المعقول أن يخلق غير الله كل ذلك الخلق ثم يسكت عنه! ، فضلا عن أن أحداً لم يدع أنه خلقها، وما دام لم يدع أحدٌ ذلك، وأنت أيها الإنسان لم تخلقها، ورغم الكفر والعناد لم يدع أحد هذه القضية قط، إذن سيظل الملك لله وحده ... وهذا دليل على أن الله واحد أحد»[(١)].

* **وهنا ألفتُ نظر القارئ الى أمرين:**

أولاً: تنبيه الشعراوي (رحمه الله) الى إن وراء هذه المخلوقات العظيمة التي خلقها (الله تعالى) وأبدعها وسخرها لخدمة الانسان الكريم على ربه لم تكن محض مصادفة بل من وراءها قصد كبير وهو ضمان عيش المكلفين لما يعينهم على تحقيق الهدف المرجو وهو عبادة الله تعالى وحده وخلع ما يعبد من دونه.

ثانياً: تسمية الدليل بـ «العناية بالإنسان وتسخير الموجودات له» أولى من تسميته بدليل العانية والاختراع إذ أن وصف المُخترِع يطلق على المخلوق الذي يصنع شيئا من شيء موجود لم يكن معهودا من قبل كاختراع آلة أو دواء ..الخ أما وصف الباري عز وجل فيكون بالخلق والتسخير أولى من الاختراع لأن الخلق يكون إنشاء من عدم وليس كذلك الاختراع فاستخدام لشعراوي (رحمه الله) لهذا المصطلح يعطي طابع الفهم والفطنة له والله أعلم.

ثالثاً: دليل الغيب الحاضر:

قد يكون عنوان هذا الدليل فيه شيء من الغرابة لكن عند بيانه يزول الإشكال فالشيخ الشعراوي لم يغفل الأدلة المادية التي ساعدت العلم الحديث على اكتشافها والتي ترسخ قضيتين مهمتين:

القضية الأولى: الإيمان بالغيب.

والقضية الثانية: الإيمان بوجود الله تعالى خالق هذا الغيب.

---

(١) الخواطر للشعراوي،٢/ ٦٨٤.

ومما ذكره في هذا الجانب قوله: «أراد الله تبارك وتعالى رحمة بعقولنا أن يقرب لنا قضية الغيب فأعطانا من الكون المادي أدلة على أن وجود الشيء، وادراك هذا الوجود شيئان منفصلان تماما، فالجراثيم مثلا موجودة في الكون تؤدي مهمتها منذ بداية الخلق، وكان الناس يشاهدون آثار الأمراض في أجسادهم من ارتفاع في الحرارة وحمى وغير ذلك وهم لا يعرفون السبب، فلما ارتقى العلم وأذن الله لخلقه أن يروا هذا الوجود للجراثيم، جعل الله العقول قادرة على أن تكتشف المجهر الذي يعطينا الصورة مكبرة، لأن العين قدرتها البصرية أقل من أن تدرك هذه المخلوقات الدقيقة فلما اكتشف العلم المجهر استطعنا أن نرى هذا الجراثيم، ونعرف أن لها دورة حياة وتكاثر إلى غير ما يكشفه الله لنا من علم كلما تقدم الزمن، وعليه فإن عدم قدرتنا على رؤية أي شيء لا يعني أنه غير موجود، ولكن آلة الإدراك وهي البصر عاجزة عن أن تراه، لأنه غاية في الصغر، فاذا جئت بالمجهر كبر لك هذا الميكروب ليدخل في نطاق وسيلة رؤيتك وهي العين، ورؤيتنا للجراثيم والميكروبات ليست دليلا على أنها خلقت ساعة رأيناها، بل هي موجودة تؤدي مهمتها سواء رأيناها أو لم نرها، فلو حدثنا أحد عن الميكروبات والجراثيم قبل أن نراها رؤية العين هل كنا نصدق؟ والله سبحانه وتعالى ترك بعض خلقه غير مدرك في زمنه لبعض حقائق الكون ليرتقي الانسان ويدرك بعد ذلك، وكان المفروض أنه يزداد ايمانا عندما يدرك وليعرف الخلق بالدليل المادي أن ما هو غيب عنهم موجود وان كنا لا نراه»[(١)]. وهذا الدليل الذي اشار اليه الشعراوي (رحمه الله) فيه إعجاز للقران الكريم من جهة، وفيه من جهة أخرى بيان العقيدة السليمة التي ربى رسول الله ﷺ أصحابه عليها: أما جهة الاعجاز: فتكمن في قَسم الله تعالى بما يُبصَر من الموجودات وما لا يبصر. قال تعالى﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ ﴾[(٢)] الحاقة: ٣٨ – ٣٩ فالمُبصَر يؤمن به كل واحد من الناس، وما لا يبصر وهو مقصود الشيخ مما ضرب له من مثال أي –الجراثيم والبكتريا الخ– فهذا يدل على وجود هذه الكائنات منذ القدم وإن لم تُشاهد أثبتها العلم الحديث الآن، وهذا إن دلَّ على شيء يدل على صدق هذا الكتاب الخالد.

وأما الجهة الثانية: فهي بيان مدى رسوخ الإيمان عند المسلمين آنذاك وتصديقهم بما أخبر الله تعالى به رغم عدم مشاهدتهم إياه.

وهذا المثال الذي ذكره الشيخ الشعراوي في تفسيره واحد من أمثلة عدة تكفي من نَوّرَ الله تعالى بصيرته أن يدرك الحقيقة ويعلمها ولا يبقى يجادل ويماري في الحق فهو أوضح من الشمس في رابعة النهار[(٣)].

(١) الخواطر، للشعراوي، ١/ ١٢٩.

(٢) سورة الحاقة اية ٣٨-٣٩

(٣) أحيل القارئ إلى مطالعة كتاب الأدلة المادية على وجود الله، للشيخ الشعراوي، فقد ذكر من الأدلة المادية والحقائق=

المبحث الثاني

مفهوم التوحيد وبيان أقسامه

*** المطلب الاول: مفهوم التوحيد في اللغة والشرع.**

أولاً: التوحيد لغة: قال ابن فارس: «الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد»[(١)].

والتَّوْحِيد عَلَى وزن التفعيل وَهُوَ مصدر وحدته توحيدا، كَمَا تَقول: كَلمته تكليما، وَمعنى وحدته: جعلته مُنْفَردا عَمَّا يُشَارِكهُ أَو يُشبههُ فِي ذَاته وَصِفَاته، وَالتَّشْدِيد فِيهِ للْمُبَالَغَة أَي بالغت فِي وَصفه بذلك[(٢)].

وَتقول الْعَرَب: «وَاحِد وَأحد ووحد ووحيد أَي: مُنْفَرد، فَالله تَعَالَى وَاحِد، أحد أَي مُنْفَرد عَنِ الأنداد والأشكال فِي جَمِيع الْأَحْوَال».

فَقَوْلهم: وحدت اللهَّ: من بَاب عظَّمت اللهَّ، وكبرته، أَي عَلِّمتهَ عَظِيما وكبيرا، فَكَذَلِك وحدته: أَي عَلمته وَاحِدًا، منزها عَنِ الْمثل فِي الذَّات وَالصِّفَات[(٣)].

ثانياً: التوحيد في الاصطلاح الشرعي: ذكر العلماء للتوحيد تعريفات عدة، من أبرزها:

١- عرفه الباقلاني بقوله: «والتوحيد له[(٤)] هو: الإقرار بأنه ثابت موجود، وإله واحد فرد معبود، ليس كمثله شيء؛ على ما قرر به قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة:

= العلمية ما لا يبقي للمقابل معه شك في تصديقها والاقتناع بها فليراجع.

(١) معجم مقاييس للغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (تـ: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، باب، الواو والحاء وما يثلثهما٦/ ٩٠.

(٢) الحجة في بيان المحجة، لابي القاسم الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، (تـ ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض، ط/ ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م،/ ١/ ٣٣٢.

(٣) ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (تـ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، باب الحاء والدال، ٣/ ٢٨١. والحجة في بيان المحجة، للأصبهاني،١/ ٣٣٢.

(٤) أي لله تعالى.

الآية١٦٣) وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: الآية ١١)[١].

٢- وعرّفه القاضي عبد الجبار (تـ٤١٥هـ) بأنّه: «العلم بأن الله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً واثباتاً على الحد الذي يستحقه والاقرار به، ولا بد من اعتبار هذين الشرطين: العلم والإقرار جميعاً لأنه لو علم ولم يقر، او أقر ولم يعلم، لم يكن موحداً»[٢]

٣- وقال الأصبهاني في تعريفه: «وحدته: أَي عَلمته وَاحِدًا، منزها عَنِ الْمثل فِي الذَّات وَالصِّفَات»[٣].

٤- وبين الشعراوي في تفسيره أن مقتضى الإيمان هو الخضوع لإله واحد لا شريك له[٤].

*** المطلب الثاني: أقسام التوحيد عند المذاهب العقدية:**

تباينت آراء المذاهب العقدية في تقسيمهم للتوحيد على فريقين رئيسين:

*** الفريق الأول: تقسم المتكلمين للتوحيد:**

أ- تقسيم المعتزلة للتوحيد:

بنى المعتزلة أصول مذهبهم على خمسة أركان أولها: التوحيد، ونعتوا أنفسهم بأهل التوحيد والعدل[٥]؛ وكلامهم حول أقسام التوحيد يدور على ما يستحقه المولى سبحانه من الصفات نفياً واثباتاً، وهذا ما اتضح لنا من خلال بيان مفهوم التوحيد عندهم؛ ومما ذكروه من أقسام في هذا الجانب الآتي:

الأول: انكار التعدد والانقسام، والاعتقاد أن الله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً واثباتاً على الحد الذي يستحقه، والإقرار به.

---

(١) ينظر: الإنصاف، لابي بكر بن الطيب الباقلاني البصري، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، بيروت- لبنان، عالم الكتب، ط/ ١، ١٤٠٧- ١٩٨٦م، ٣٤.

(٢) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار(تـ٤١٥هـ) بن أحمد، تحقيق، عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ ٣، ١٤١٦ه-١٩٩٦م، ١٢٨.

(٣) ينظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض، ط/ ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ١/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٤) الخواطر للشعراوي، ١/ ١٨٤.

(٥) التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار(تـ٤١٥هـ)، ٦٧-١٢٨. والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ط/ ٢، ١٩٧٧، ٣٦.

الثاني: أنه المنفرد بالِقَدم فلا ثاني له، وَبَنوا على هذا الأصل إنكار الصفات القديمة، الزائدة على الذات، لذلك قالوا هو عالم بذاته، قادر بذاته، حيٌّ بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة.

الثالث: أنه المتفردَ بسائر الصفات النفسية اللائقة به من كونه قادراً حياً،...[١].

وهذه الأقسام الثلاثة نقلها القاضي عبد الجبار(تـ٤١٥هـ) عن شيخه أبي علي حيث قال: «قال شيخنا أبو علي: إن القديم يوصف بأنه واحد على وجوه ثلاثة: أحدها: بمعنى أنه لا يتجزأ ولا يتبعض، الثاني: بمعنى أنه منفرد بالِقدم لا ثاني له، الثالث: بمعنى أنه منفرد بسائر ما يستحق به الصفات النفسية»[٢].

ب- تقسيم متكلمي أهل السنة (الاشاعرة والماتريدية).

قسم الأشاعرة والماتريدية التوحيد إلى ثلاثة أقسام: وكان محور تقسيمهم يدور حول توحيد الله تعالى في ربوبيته، وما يستحقه سبحانه من إفراد في الذات والصفات والافعال وفيما يأتي بيان ذلك:

١- قال الشهرستاني: «وأما التوحيد فقد قال أهل السنة، وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له»[٣].

٢- وقال الرازي في المطالب العالية: «اعلم أنه تعالى واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله»[٤].

٣- وقال ابن الهُمام في المُسايرة: «التوحيد هو اعتقاد الوحدانية في الذات والصفات والأفعال»[٥].

*** الفريق الثاني: تقسيم أهل الأثر للتوحيد:**

اشتهر عند أصحاب هذا المذهب تقسيمهم التوحيد على ثلاثة أقسام ، واستندوا في ذلك على تتبع واستقراء آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وهذه الاقسام هي: توحيد الربوبية، وتوحيد

---

(١) ينظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد، ٤/ ٢٤١. والملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤ه، تحقيق : محمد سيد كيلاني، ١/ ٤٤. ومذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي،١/ ٤٧، ٥٨.

(٢) المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار، ١/ ٢٤١.

(٣) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤
تحقيق : محمد سيد كيلاني١/ ٤٠.

(٤) ينظر: المطالب العالية، من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي (تـ٦٠٦ه)، دار الكتاب العربي -بيروت، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا، ط/ ١ ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م، ٣/ ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٥) المسامرة في شرح المسايرة، للكمال بن ابي شريف بن الهمام، مع حاشية زين الدين قاسم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٤٧، ٢٠٠٦.

الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، هذا من حيث التفصيل، أو على قسمين من حيث الإجمال توحيد الإثبات والمعرفة، وتوحيد الإرادة والطلب، ويضمنونها الأنواع الثلاثة حيث يجعلون توحيد الربوبية والاسماء والصفات تحت مسماً القسم الأول وتوحيد الألوهية ضمن القسم الثاني[١].

وهذه الأقسام مترابطة فيما بينها؛ لتدل على معنى التوحيد، فتوحيد الألوهية يدل على الربوبية بالتضمن؛ فما من محقق له إلا وهو محقق لتوحيد الربوبية من باب أولى، ومن ادعى خلافه فقد ادعى الجمع بين النقيضين، وأما توحيد الربوبية، فإنه يدل على توحيد الألوهية بالالتزام، بمعنى أن من أقر بأنه لا يستحق صفات الربوبية إلا الله تعالى؛ لزم ألا يعبد أحداً سواه، وأي مخالفة لذلك تدل على خلل في الإقرار بتوحيد الربوبية، أما توحيد الأسماء والصفات؛ فإنه يدل على توحيد الربوبية بالتضمن؛ لدلالة أسمائه الحسنى على ذلك، وعلى الألوهية بالالتزام[٢].

*** المطلب الثالث: أقسام التوحيد عند الشيخ الشعراوي:**

تناول الشيخ الشعراوي في تفسيره أقسام التوحيد تناولا جمع فيه بين تقسيمات متكلمي أهل السنة وبين تقسيم أهل الأثر، وبما أن كتاب الشيخ كتاب تفسير لا كتاب عقيدة بحت، فقد طرق هذه المسألة طرقا فيه من السهولة واليسر ما يقنع بحجته المنصف المتأمل الذي يبحث عن الحقيقة ويبغي الوصول إليها، فبعد بيانه في السورة المباركة للآيات التي تحدثت عن أوصاف المنافقين وبيان حالهم ظاهرا وباطنا كي يعرفهم المؤمن وينتبه لحالهم ولا يأمن لمكرهم، بين أن المنافقين لم يكفروا بالله كإله فقط، ويستروا وجوده، ولكن كفروا به كرب، والرب عطاؤه مكفول لكل من خلق مؤمنهم وكافرهم، فهو سبحانه وتعالى الذي استدعاهم للوجود وخلقهم، ولذلك فإنه سبحانه يضمن لهم رزقهم وحياتهم، وبين (رحمه الله) أن المولى جل في علاه لم يحرم خلقا من خلقه من عطاء ربوبيته في الدنيا، فالشمس تشرق على المؤمن والكافر، والمطر ينزل على من قال لا إله إلا الله ومن ستر وجوده تعالى، والهواء يتنفس به ذلك الذي يقيم الصلاة والذي لم يركع ركعة في

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لإبن تيمية،٢/ ٢٢٦. وطريق الهجرتين وباب السعادتين، لإبن القيم (تـ٧٥١هـ)، ١/ ٥٦-٥٧. ، ١/ ٨٩. وشرح الطحاوية، لابن ابي العز، ١/ ٤١.

(٢) ينظر: التعليق الميسر، لوهبي سليمان غاوجي، على منح الروض الازهر في شرح الفقه الأكبر، لعلي بن سلطان محمد القاري، (تـ١٠١٤هـ)، د/ ت، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط١/ ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٤٧. وتيسير العزيز الحميد، في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (تـ١٢٣٣هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط/ ١، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م، ٣٣. و دعوة التوحيد، للشيخ خليل محمد هراس،٨٣-٨٥.

حياته، والطعام يأكله الذي يحب الله والذي يكفر بنعم الله ذلك أن هذه عطاءات ربوبية يعطيها الله تعالى لكل خلقه في الدنيا، أما عطاءات الألوهية، فهي للمؤمنين في الدنيا والآخرة، فالله سبحانه وتعالى يلفت انتباه خلقه إلى أن عطاء الربوبية من الله سبحانه وتعالى لهم يكفي ليؤمنوا بالله ويعبدوه، والحق سبحانه وتعالى حينما يخاطب الناس في القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلابد أن يكون الخطاب للناس في كل زمان ومكان منذ نزول القرآن الكريم إلى يوم القيامة[١].

ولفت الشيخ نظر القارئ الى قضية غاية في الدقة تخص هذه المسألة أي -التوحيد- وهي استخدام الحق سبحانه وتعالى لضمير المتكلم عندما يريد التحدث عن فعل يحتاج إلى كمال المواهب منه سبحانه فيقول «إنا» كقوله جل شأنه: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) [الحجر: ٩].

ولكن حين يتكلم الله سبحانه عن ألوهيته وحده وعن عبادته وحده يستخدم ضمير المفرد كقوله سبحانه: ((إنني أَنَا الله لا إله إلا أَنَاْ فاعبدني وَأَقِمِ الصلاة لذكري)) [طه: ١٤].

ولا يقول فاعبدنا، إذن ففي كل فعل من أفعاله جل في علاه يأتي الله سبحانه بنون العظمة، وفي كل أمر يتعلق بالعبادة والتوحيد يأتي سبحانه بالضمير المفرد، وذلك حتى نفهم أن الفعل من الله سبحانه ليس وليد قدرته وحدها، ولا علمه وحده ولا حكمته وحدها ولا رحمته وحدها، وإنما كل فعل من أفعال الله تكاملت فيه صفات الكمال المطلق لله سبحانه فنون العظمة أتت لتلفتنا إلى هذه الحقيقة لتبرز للعقل تكامل الصفات في الله لأنك قد تقدر ولا تعلم، وقد تعلم ولا تقدر، وقد تعلم وتغيب عنك الحكمة، إذن فتكامل الصفات مطلوب[٢]. في إبراز قضية ما في الوجود أو الإشارة إليها.

هكذا عرض الشيخ الشعراوي(رحمه الله) مسألة توحيد الله تعالى بإسلوب سهل ممتنع وبحوار هادئ يفهم معناه من أراد الله تعالى به الخير ووفقه له دون أن يغرق في المقدمات الكلامية، ولا في التعقيدات الفلسفية التي تبناها من خاض في هذا الجانب إذ لا أدل على مراد الله تعالى من الخلق تحقيقه غير الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في سنته، ودور العلماء الربانيين هو بيان هذا الحق للمكلفين حتى تتم عبادتهم لله تعالى على أتم وجه وأحسن طريق.

❊ ❊ ❊

(١) ينظر: الخواطر للشعراوي، ١/ ١٨٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٥٥٨-٥٥٩.

المبحث الثالث

الصفات الإلهية

يعد مبحث الصفات الإلهية من أهم وأخطر المباحث العقدية التي وسعت هوة الخلاف بين الفرق العقدية وتباعدت أقوالهم فيها، فمنهم من نفى الصفات بحجة ان القول بإثباتها يؤدي إلى القول بتعدد القدماء، ومنهم من أثبت الصفات وغالى في إثباتها حتى شبه الخالق (جل في علاه) بالمخلوق، وبين آخرين اتبعوا نصوص الوحيين وما كان عليه سلف هذه الأمة فأثبتوا ما اثبته الله تعالى لنفسه من صفات الكمال من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، ونفوا عنه صفات النقص، وبين من اثبت بعضها وأول البعض الآخر، بحجة أن العقل يجزم بثبوتها، و سأعرض في هذا المبحث أقوال الفرق العقدية ومذاهبهم فيها ومن ثم أعرج على بحث الشيخ الشعراوي إياها ومعالجته لها بعد بيان معنى الصفات في اللغة والاصطلاح الشرعي.

* **المطلب الاول: مفهوم الصفات في اللغة والاصطلاح:**

أولاً: الصفة لغة:

قال ابن منظور: «هو وصف الشيء له وعليه وصفاً، ووصفه حلاه، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصف المصدر، والصفة الحلية»[(١)].

وقال صاحب المُغرَب: «هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات»[((٢))].

قال الجرجاني: «وعلى هذا فالصفة هي معنى قائم بالذات دال عليه كدلالة اللفظ على الكتابة والصفة في الأصل مصدر وصفت الشيء إذا ذكرته بمعانٍ فيه»[(٣)].

---

(١) ينظر: لسان العرب : مادة (وصف) ٩/ ٣٥٦ .

(٢) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (تـ ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي، ب/ ط، ٥٢١. والتوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ٢١٧.

(٣) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (تـ: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط/ ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ٢١٧. والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي=

ثانياً: الصفة في الاصطلاح:

الصفة في الاصطلاح عبارة عن كل أمر زائد على الذات يفهم في ضمن فهم الذات ثبوتياً كان أو سلبياً، فيدخل فيه الألوان والأكوان، والأصوات والإدراكات وغير ذلك[١].

وقال ابن زكريا الأنصاري: «هي الأمارة القائمة بذات الموصوف»[٢].

اما مصطلح الصفات الذي نحن بصدده فالمراد بها صفات الله تعالى، فقد عرّفها البيهقي بأنها: «نعوت له أزلية وصفات له أبدية تقوم به موجودة بوجوده دائمة بدوامه ليست بأعراض ولا بأغيار ولا حالة في أعضاء غير مكيفة بالتصور في الأذهان ولا مقدورة بالتمثيل في الأوهام»[٣].

وهي التي يوصف الله تعالى بها، ولا يوصف بأضدادها، وهي الصفات المعنوية الثابتة لله أزلاً وأبداً[٤].

فصفات الله تعالى عند المتكلمين وأرباب العقائد ما يجب لله تعالى عقلاً وشرعاً التي لم يزل الباري عز وجل موصوفاً بها، أزلية موجودة بوجود الله تعالى كالعلم والقدرة والحياة والإرادة والبصر والكلام، ونحو ذلك من الصفات[٥].

*** المطلب الثاني: المذاهب العقدية في الصفات.**

تباينت أقوال المذاهب العقدية في الصفات الإلهية وتبنى كل مذهب عقدي قولا خاصا في هذه المسألة ويمكن أن نجمل مذاهبهم في قولين رئيسين:

= (تـ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ٥٤٦. والتعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (تـ: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط/ ١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ٧٦.

(١) التعريفات، للجرجاني: ٧٦.

(٢) ينظر: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (تـ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط/ ١، ١٤١١، ١/ ٧٢. ونشر اللآلي، للدقدوسي، ٣٨.

(٣) شعب الايمان للإمام البيهقي ، (ت ٤٥٨هـ) تحقيق :ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت: ١/ ١١٣،

(٤) ينظر : شرح العقيدة السفارينية، لمحمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، ط، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ١٥٥.

(٥) ينظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني (تـ٤٠٣هـ) تحقيق، عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط/ ١ ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ٤٦٢.

الفريق الأول: النافون للصفات: وهم المعتزلة ومن وافقهم[١].

فالمشهور من مذهب المعتزلة هو نفي الصفات الزائدة عن الذات، والحقيقة أن الكلام حول نفيهم هذا يحتاج شيئا من البيان، فالمتقدمون منهم كواصل بن عطاء، وابو الهذيل ... ذهبوا إلى إن الصفات هي عين الذات، وحجتهم في ذلك: أن إثباتها يؤدي إلى وصف الله تعالى بالجسمية، ومشابهته لخلقه، وبما ان الباري سبحانه قديم والقدم أخص وصف ذاته، نفوا ان تكون معه صفات قديمة فقالوا: هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية[٢]، وفي هذا لا يجوز اثبات ذوات قديمة متعددة[٣]، وبينوا أن القول بهذا المعنى يفضي إلى تعدد القدماء- الذات والصفات- وهو كفر بالإجماع وبه كفرت النصارى حين قالوا الذات الإلهية أقاينم ثلاثة قديمة[٤].

ونفيهم هذا شامل لجميع أنواع الصفات الذاتية الخبرية منها كالوجه واليدين والساق و... والفعلية، كالنزول والاستواء والمجئ لفصل القضاء، بحجة أنها كلها من قبيل الحوادث، التي يجب تنزيه الله عنها؛ لأن من قامت به الصفات قامت به الأعراض، وإذا قامت به الأعراض فهو حادث[٥].

---

(١) كالجهمية إذ يعد نفي المعتزلة للصفات الأزلية امتداداً لقولهم، ومما قاله الجهم: «لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيها فنفى كونه حيا عالما وأثبت كونه: قادرا فاعلا خالقا لأنه لا يوصف بشيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق» الملل والنحل، للشهرستاني،١/ ٤٢. و المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (تـ: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤١٨ه، ٤/ ١٧٧.

(٢) الملل والنحل، للشهرستاني،١/ ٤٢. وشرح البابرتي،٤٢.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (تـ:٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ ١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م ، ٧٥.

(٤) الأقنوم: الأصل والشخص، فقولهم الباري تعالى جوهر واحد، يعنون به القائم بالنفس، لا التحيز والحجمية، فهو واحد بالجوهرية، ثلاثة بالأقنومية، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم، وسموها الأب والابن، وروح القدس، وإنما العلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم. الملل والنحل، للشهرستاني،١/ ٢١٩. و أبكار الأفكار، للآمدي، ٢/ ١٥. وينظر: عقيدة الثالوث القويمة، وليم تمبل جردنر، رئيس الجمعية الأسقفية بمصر سابقا،٢١.

(٥) ينظر: المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل – بيروت، ط/ ١ ، ١٩٩٧. ٣/ ٢٦. وشرح المقاصد في علم الكلام، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (تـ٧٩٣هـ)، تحقيق، دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، باكستان، ٢/ ٧٠ – ٧١.

ونرى في المقابل رأياً آخر في النفي مثله المتأخرون منهم وذلك، بحكم مطالعتهم لكتب الفلاسفة والنظر فيها ومجادلتهم أصحابها، فانتهوا إلى إرجاع جميع الصفات إلى صفتين وهما كونه: عالما قادرا ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان هما: اعتباران، للذات القديمة كما قال الجبائي أو حالان[١]، كما قال أبو هاشم ومال أبو الحسين البصري إلى ردهما إلى صفة واحدة وهي العالمية وذلك هو عين مذهب الفلاسفة[٢].

الفريق الثاني: المثبتون للصفات:

يمكن تقسيم مثبتي الصفات على قسمين رئيسين مبتدعة وأهل السنة وكالآتي:

*** القسم الاول:**

مذهب المبتدعة (المجسمة والمشبهة ومن وافقهم): وهؤلاء على نقيض من سبقهم من المعتزلة حيث أثبتوا الصفات التي جاءت بها النصوص؛ لكن اثباتهم مخالف لإثبات أهل السنة، حيث شبهوا صفات الخالق بصفات المخلوق فجوزوا ان يكون الخالق جسماً على هيأة إنسان وأنه من دم ولحم وله أعضاء من يد ورجل ورأس ويد وساق، وجوزوا عليه الانتقال والمصافحة، ونَقل الإمام الاشعري عن أئمتهم: أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض[٣].

وهذه الخرافات فيها من التنفير وسوء المقالة وقلة الأدب ما يمنع العاقل من الاسترسال معهم سواء بعرض آرائهم أو بالرد عليهم، فمذهبهم ساقط لا يقول به عاقل[٤].

*** القسم الثاني: مذهب أهل السنة:**

يمكن أن نصنف مذاهب أهل السنة في موقفهم من الصفات الى صنفين:

الاول: المتكلمين، والثاني: أهل الاثر، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

---

(١) الحال: هو عند القائل به عبارة عن كل صفة إثباتية لموجود غير متصفة بأنها موجودة، ولا معدومة، واعتبر أبو هاشم الجبائي هذه الصفات أحوالا لا تعرف بانفرادها، وإنما تدرك من خلال الذات، وهي لا تعد موجودة ولا معدومة، ولا معلومة ولا مجهولة، وقد ضُرب المثل برأيه في الخفاء فقالوا: «أدق من كسب الأشعري، وأخفى من أحوال أبي هاشم».. نهاية الإقدام في علم الكلام، ٤٥. وأبكار الأفكار،للآمدي،٣/ ٤٠٨.

(٢) ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ١٥١، والملل والنحل، للشهرستاني، ١/ ٤٥. والمنقذ من الضلال، للغزالي، ١٠٧.

(٣) ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ١/ ١٠٠.

(٤) ينظر: العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها، الطيب بن عمر بن الحسين الجكيني،٨٧.

الصنف الأول: مذهب المتكلمين من أهل السنة (الأشاعرة والماتريدية) في الصفات:

أ- مذهب الأشاعرة:

١- موقفهم من الصفات إجمالاً:

المشهور من مذهب الأشاعرة أنهم من مثبتة الصفات، وإن لم يثبتوا جميع ما وردت به النصوص، على اعتبار أن ظاهرها غير مراد ولا بد من صرف معناه الى معنى يليق بجلاله تعالى؛ لانَّ القول بها يؤدي إلى اثبات ما يوهم الجسمية ومشابهة المخلوقات؛ لذا فإنهم أثبتوا سبعاً من الصفات وسموها الصفات الذاتية العقلية -أي أن العقل يجزم بثبوتها- وهي القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، فذهبوا إلى أن الله تعالى سميع بصفة تسمى سمعا، وبصير بصفة تسمى بصرا ، وعليم بعلـم وقدير بقدرة ومريـد بإرادة وحي بحياة، ومتكلم بكلام[١].

وقد وضح الشهرستاني مذهب الأشاعرة في هذه الصفات فقال: «فالصفات على مذهبهم -أي الاشاعرة- تدل على معان زائدة على مفهوم الذات فهي ليست ألفاظا مترادفة قالوا: كما لا يجوز عقلاً أن توجد ذات الإنسان إلا إذا كانت له صفات زائدة عليها ومغايرة لها وتختلف كل صفة منها عن الصفات الأخرى، كذلك لا يجوز أن توجد الذات الإلهية من غير صفات زائدة على الذات ومغايرة لها»[٢].

ثم بين مخالفتهم لمن سواهم فقال: «ثم قالوا: وان هذه الصفات لا يقال هي هو ، لان ذلك إنكار لوجود الصفة والقول بعينتيها، وذلك مذهب المعتزلة، ولا هي غيره؛ لأنها لو كانت غيره لأصبحت ذواتاً مستقلة قائمة بنفسها وذلك يوجب التعدد والكثرة، بل يقال: إن الذات ومعها الصفة قديمة من غير وجود تغاير، لأن الصفة ليست ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الذات»[٣].

هذا من ناحية إثباتهم للصفات وأما من ناحية النفي فالأشاعرة يثبتون خمساً من الصفات السَلبية ينزهون بها الرب جل في علاه عن مشابهة المخلوقين بنفي أضدادها عنه، وهي القدم، الذي ضده الحدوث، والبقاء الذي ضده الفناء، والوحدانية، التي هي ضد التعدد في الذات والصفات والأفعال، والمخالفة للحوادث، أي عدم مماثلته لشيء منها، والقيام بالنفس -الغنى المطلق- الذي ضده الاحتياج الى الغير[٤].

---

(١) ينظر: أصول الدين، للبغدادي، ٩٠. وإشارات المرام، للبياضي، ١٥٨. المواقف، للإيجي، ٣/ ٦٦.

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام ، لأبي الفتح محمد بـن عبـد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) ، مكتبة المثنى، بغداد، ٢٠٠.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، ٥٤. وشرح العقائد النسفية، للتفتازاني، ٧٥ .

(٤) الإرشاد، للجويني، ٣١-٣٣-٣٤-٥٢، وأصول الدين الاسلامي، رشدي عليان وقحطان الدوري، ٨٦-١١٢.

وأثبتوا كذلك الصفة النفسية، ويعنون بها الوجود مع اختلاف وقع بينهم في تسمية المراد منها بذلك الاسم، وفي ذلك قال الجويني(تـ٤٧٨هـ): «والوجه المرضي أن لا يعد الوجود من الصفات فإن الوجود نفس الذات»[١]. وهذا خلاصة موقفهم العام من الصفات الإلهية.

ب- مذهب الماتريدية:

١- موقفهم من الصفات إجمالاً:

أثبتت الماتريدية ما أثبتته الأشاعرة من صفات الذات العقلية وزادوا عليها صفة التكوين[٢]، واثبتوا لهذه الصفات معنى حقيقياً يقوم بذات الرب تعالى فليست هي عندهم مجرد وصف الواصف أو نفي الضد، وأرجعوا باقي الصفات إليها[٣].

والماتريدية يؤكدون على أن إثبات هذه الصفات لا يستلزم التشبيه، إذ إنه لا شبه بين حقيقة الخالق والمخلوق، ولو كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه للزم قدم المخلوق أو حدوث الخالق، وهذا ما لا يقول به عاقل.

قال الإمام الماتريدي (رحمه الله) موضحاً ذلك: «لو كان لشيء منه شبه يسقط عنه من ذلك القدم، أو عن غيره الحدث ...، على أن الشبه من كل جهة في الخلق ممتنع لما يصير واحدا وإنما يكون في جهة دون جهة فلو وصف بالشبه بغيره بجهة فيصير من ذلك الوجه كأحد الخلق ... وليس في إثبات الأسماء وتحقيق الصفات تشابه لنفي حقائق ما في الخلق عنه»[٤].

وقال أبو المعين النسفي(تـ٥٠٨هـ): «إن الصانع القديم (جل ثناؤه) لا يشبه العالم، ولا شيئاً من العالم بوجه من الوجوه، لأن المتشابهين هما المتماثلان، والمتماثلان ما ينوب أحدهما مناب صاحبه، ويسد مسده... فإن كان المتغايران ينوب أحدهما مناب صاحبه ويسد مسده من جميع الوجوه كانا مثلين من جميع الوجوه،

---

(١) الارشاد، للجويني، ٣١.

(٢) لمزيد اطلاع حول الكلام عن هذه الصفة أحيل القارئ الى أطروحة الدكتوراه أثر المذاهب العقدية على شارحي العقيدة الطحاوية بين أكمل الدين البابرتي وابن أبي العز الحنفي دراسة مقارنة، للباحث، بإشراف أ.م.د. أسماء عبد القادر العاني، كلية الإمام الأعظم الجامعة، ٢٠١٦م.

(٣) ينظر: التوحيد، للماتريدي، ٤٩-٦٠، ١٢٨، ١٢٩. وتأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (تـ: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ٣٣٧، وأصول الدين، للبزدوي، ٢١، ٢٢. وإشارات المرام، للبياضي، ١٠٧، ١٣٦.

(٤) التوحيد، للماتريدي،٢٤.

وإن كان ينوب منابه، ويسد مسده من بعض الوجوه فهما مثلان من ذلك الوجه، ثم إنما ينوب أحدهما مناب صاحبه ويسد مسده في وجه من الوجوه إن استويا في ذلك الوجه، إذاً لو كان بينهما تفاوت في ذلك الوجه لما ناب أحدهما مناب صاحبه، ولا سد مسده، وإذا عرف هذا فنقول: إن الله تعالى لو كان مثلاً للعالم، أو لشيء من أجزائه من جميع الوجوه، لكان هو جل جلاله محدثاً من جميع الوجوه أو كان ما يماثله قديماً من جميع الوجوه، ولو كان يماثله بوجه من الوجوه لكان الله تعالى محدثاً من ذلك الوجه، أو ما يماثله من ذلك الوجه، والقول بحدث القديم من جميع الوجوه أو بوجه من الوجوه، أو بقدم المحدث من جميع الوجوه أو بوجه من الوجوه محال»[(١)].

وما ذَكَرَته الماتريدية من الدليل العقلي على نفي التشبيه من جهة أنه يستلزم الجمع بين النقيضين صحيح؛ ولكنهم ساروا على هذا الأصل فقط فيما أثبتوه من الصفات، وأما في بقية الصفات فهم على النقيض من ذلك، إذ يعتقدون أن إثباتها على حقيقتها يستلزم التشبيه والتجسيم، وهذا في الحقيقة تناقض، إذ أن القول في جميع الصفات واحد نفياً وإثباتاً، ولا دليل على التفريق.

* **القسم الثاني: مذهب أهل الاثر:**

بما أن مذهب أهل الأثر يعد امتداداً لمذهب سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ﷺ فقد تميزوا عن غيرهم من المذاهب العقدية الأخرى في ما يخص نصوص الصفات؛ بإثباتهم جميع ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه وما أثبته رسوله ﷺ في سنته، لا يتجاوزون نصوص الوحيين في الأسماء والصفات، ولا يتكلفون التأويلات، ولم ينكروا ما دلت عليه الآيات والأحاديث الواردة فيها، ولم يفهموا منها غير ما تبادر منها من معنى مع اعتقادهم أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وهم بذلك متبعون للكتاب والسنة سلفهم عن خلفهم، كما أنهم لم يفرقوا في إثباتهم بين الصفات الذاتية والصفات الخبرية،[(٢)] إذ لم تكن هذه المسائل مثار خلاف وجدل بين سلفهم من الصحابة أو التابعين، فلا تجد لهم موقفاً في التفريق بين نوع وآخر من الصفات سوى إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ، وضابطهم في ذلك الاثبات – من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل- وإنما أثبتوها جميعاً كما جاءت بها النصوص ولم يشتغلوا بتأويلها[(٣)].

(١) التمهيد في أصول الدين، ١٣- ١٤، وأصول الدين، ٣١-٣٣، تبصرة الأدلة، ٨٦-١٠٠.

(٢) أي من ناحية الإثبات والتاويل كما فعل المتكلمون. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني: ١/ ١٠٨ ، مقالات الإسلاميين: ١/ ٢٤٤ ، : ١٨٣ - ١٩٥ ، شرح الجرجاني على المواقف: ٨/ ٤٨.

(٣) ينظر: العقيدة، للخلال، ١٢٧. وشرح السنة، للمزني، ٧٩. والاعتقاد القادري، ٢٤٩. والاعتقاد، لابي يعلى، ٢٦-=

وبعد هذا العرض الموجز لمذاهب الفرق العقدية في الصفات الإلهية وبيان ما تبناه كل فريق منهم أعرج على ما ذهب إليه الشيخ الشعراوي في هذه القضية في تفسيره وكيف عالجها محاول التوفيق بين أقوال من تقدمه في هذا الجانب ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

*** المطلب الثالث: رأي الشيخ الشعراوي في الصفات الإلهية.**

تناول الشيخ الشعراوي من خلال تفسيره لسورة البقرة بعض الصفات، وأثبت كل ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه العزيز من غير جنوح للتأويل أو سقوط في التشبيه، مستخدما في ذلك العقل الواعي الذي نوره الله تعالى بنور الوحي مما لا يجعل للمخالف حجة في الرد أو التشكيك، وسأعرض بعض ما تناوله في تفسيره فيما يخص هذا الجانب ومن ذلك.

أثبت الشيخ الشعراوي صفة الحياة في معرض بيانه لقوله تعالى: ((الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ الحي القيوم)) (سورة البقرة من الأية:٢٥٥)، حيث بين أن هذه الصفة يجب أن تكون من أول الصفات التي ينبغي إثباتها لله تعالى، ثم يأتي إثبات باقي الصفات كالقدرة والعلم، وغيرها بعدها، وبين أن هذه الصفات كلها قديمة لا أول لها، فلو كان عدماً فكيف تأتي الصفات على العدم؟!

ثم راح يفسر معنى هذه الصفة ويرد على من زعم من الفلاسفة أن معناها هو: الذي يكون على صفة تجعله مُدْرِكاً إن وُجِدَ ما يُدْرَكْ.[١]

فجاء رد الشيخ عليه بقوله: «إن أردت الحياة بالمعنى الواسع الدقيق فلابد أن تقول: الحياة: هي أن يكون الشيء على الصفة التي تبقى صلاحيته لمهمته، هذا هو ما يجب أن يكون عليه التعريف»، أي أن الحي: هو الذي يكون على صفة تُبقى له صلاحيته لمهمته، وضرب أمثلة وضح فيها معنى التعريف الذي اختاره لهذه الصفة بالنبات، فما دمنا نجده ينمو، إذن ففيه حياة تبقى له صلاحية مهمته، فلو قطع لانتهت الصلاحية، وكذلك الإنسان عندما يموت تنتهي صلاحيته لمهمته، والعناصر الجامدة عندما تأتي مع بعضها تتفاعل، هذا التفاعل فرع وجود الحياة، لكنها حياة مناسبة لها وليست مثل حياتنا، ...، إذن فكل كائن يكون على صفة تُبقى له صلاحيته لمهمة، وتكون له حياة مناسبة لتلك المهمة[٢]».

= ٢٧-٣١. وعقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني، ١٦١. ومجموع الفتاوى، لإبن تيمية، ٦/ ٥٢. ومنهج ابن ابي العز، للحافي، ٢١٣.

(١) ينظر: الخواطر، للشعراوي، ٢/ ١٠٩٢.

(٢) الخواطر للشعراوي، ٢/ ١٠٩٢-١٠٩٣.

والشيخ رحمه الله تعالى إذ يقرر هذا التقرير ليس رجما بالغيب أو ابتداعا من عند نفسه بل جاء تقريره هذا بناء على تدبر معاني القران الكريم وفهم آياته، فماذا يقابل الحياة في القرآن؟ إنه الهلاك بدليل أن الله قال: ((لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ويحيى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ)) [الأنفال: ٤٢].

إذن فالحياة مقابلة للهلاك، و ((الحي)) غير هالك، والهالك لا يكون حياً، ويقول تعالى في الآخرة: ((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ)) [القصص: ٨٨] ومعنى ذلك أن كل الأجناس من أعلاها إلى أدناها، سواء الإنسان، أو الملائكة، أو الحيوان أو النبات، كلها ستكون هالكة، ومادام كل شيء سيهلك يوم القيامة فكأنه لم يكن هالكاً قبل ذلك، لكننا نحن البشر لا نفطن إلى ذلك ونفهم الحياة فقط على أنها الحس والحركة الظاهرة، إذن فكل شيء له حياة، ولا يظن ظان أنه هو الذي يهلك الأشياء ويفنيها، فعندما نأتي بحجر وندقه أو نضعه في الفرن لنصنع الجير؛ لا نقول: إننا أذهبنا من الأحجار الحياة المناسبة لها، نحن فقط قد حولنا مهمتها من حجر صلب، وصارت لها مهمة أخرى، فالمسائل تتسلسل إلى أن يصير لكل شيء في الوجود حياة تناسب المهمة التي يصلح لها، ثم أتى بعد ذلك ليقرر هذه الصفة لله سبحانه من أنها الحياة العليا، وهو الحي الأعلى وحي لا تُسلب منه الحياة، لأن أحدا لم يعطه الحياة، بل حياته سبحانه ذاتية، فهو حي على إطلاقه قال: تعالى (الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ الحي القيوم) وأثر هذه الصفة موجود في كل الصفات الأخرى[١].

«فسبحانه حي بذاته، ولذلك يجب التفريق بين اسمه الحي واسمه المحيي، فهو حي في ذاته، ومُحْي لغيره، وإن كانت الصفة لله في الذات فهي لا تتعدى إلى الغير، فالله يوصف بها ولا يوصف بنقيضها، فنقول حي ولا نقول المقابل، ولكن إن قلت: محيي فأنت تأتي بالمقابل وتقول: مميت، وتقول: «قابض وباسط» و «رحيم وقهار» إذن: فصفة الذات يتصف الله بها ولا يتصف بمقابلها، وأما صفة الفعل فيتصف بها ويتصف بمقابلها لأنها في غيره، فسبحانه هو مُحي لغيره، ومميت لغيره، لكنه حي في ذاته»[٢].

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى: «ولَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أثبت جملة من صفات الجمال والجلال لله تعالى وبين أن الذي ينبغي أن يتقى صفات الجلال في الله فالله سبحانه وتعالى له صفات جلال وصفات جمال، صفات الجلال هي «الجبار والقهار والمتكبر والقوي والقادر والمقتدر والضار» وغيرها من صفات الجلال.

فالله سبحانه وتعالى يريدنا أن نجعل بيننا وبين صفات الجلال وقاية حتى لا نغضب الله، فيعاملنا بمتعلقات صفات جلاله، وأن نتمسك بصفات جمال الله الرحيم الودود، الغفار، التواب، فإذا نجحنا في ذلك كان لنا

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ١٠٩٣- ١٠٩٤.
(٢) الخواطر، للشعراوي، ٨/ ٥٠٤٩.

نجاة من النار التي هي أحد جنود الله، ومتعلقات جلاله[١].

وكذلك من الصفات التي تناولها الشيخ الشعراوي بالبحث في تفسيره صفة الكلام وهذه الصفة حدث فيها نزاع كبير بين أصحاب المذاهب العقدية وكل تبنى فيها رأيا رأى فيه تنزيه الله سبحانه عن مشابهة خلقه إلا أن الشيخ الشعراوي لم يتبع فيها مذهب من سبقه من علماء الكلام وأثبت هذه الصفة من غير تأويل ولا تعطيل وعرض الكلام فيها وعالج القضية بطريقة يرتاح معها البال وتطمئن إليه النفس ففي معرض الإثبات ذكر أن الوحي لموسى عليه السلام ليس من الكلام الذي قسمه الحق في قوله: ((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ الله إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً)) ؛ لأن الله قال في كلامه لموسى: ((وَكَلَّمَ الله موسى تَكْلِيماً))، ورغم وقفة العلماء العقلية وقولهم: كيف يتكلم الله إذن؟ أجاب الشيخ الشعراوي(رحمه الله) بقوله: «نقول: إن كل وصف لله ويوجد مثله لخلقه إنما نأخذه بالنسبة لله في إطار: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) فإن قلت: إن لله وجوداً وللإنسان وجوداً، فوجود الإنسان ليس كوجود الله، وإن قلنا: إن لله علماً، وللإنسان علماً، فعلم الإنسان ليس كعلم الله، وإن قلنا: إن لله قدرة، وللإنسان قدرة، فقدرة الإنسان ليست كقدرة الله، وإن قلنا: إن لله استواء على العرش وللإنسان استواء على الكرسي، فاستواء الله ليس كاستواء الإنسان إذن فلا بد أن تؤخذ كل صفة من صفات الله التي يوجد مثلها في البشر في إطار قوله: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) [الشورى: ١١] وبذلك ينتهي الخلاف كله في كل ما يتعلق بصفات الحق، فالحق له يدان وله وجه، ولكن لا يمكن للإنسان أن يصور يد الله كيد البشر، بل نأخذها في إطار ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) وكذلك وجه الله، وما دمنا نأخذ صفات الله في إطار ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) فلا داعي للمعركة الطاحنة بين العلماء في الصفات وفي تأويل الصفات، ولا داعي أن ينقسم العلماء إلى عالم يؤوّل الصفات وعالم لا يؤول؛ لا داعي أن يقول عالم: إن يد الله هي قدرته فيؤول، وعالم آخر لا يؤول ويقول: لا إن لله يداً ويسكت، ونقول للعالم الذي لا يؤول: قل: إن لله يداً وهي تناسب قوله: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) وإذا كنا نحن قد عرفنا في عالمنا أن الأشياء تختلف مواجيدها في الناس باختلاف الناس، فلا بد من أن نعرف أن الله لا مثيل له[٢].

ولا ندخل في نقاش لا جدوى منه حول: أحين فرض الحق على رسوله الصلاة كلمه وسمع منه رسول الله ﷺ أم أن رسول الله قد رأى الله وهو يتكلم معه، لا داعي للخوض في أمر لم يخبرنا الله عن كيفيته، والأدب مع الله يقتضي ذلك[٣]، قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (سورة الإسراء: من الآية ٣٦).

(١) المصدر نفسه، ١/ ١٨٥، ٥/ ٣٤٠٥.

(٢) الخواطر، للشعراوي، ٥/ ٢٨٤٥-٢٨٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ٥/ ٢٨٤٧.

وبهذا المنهج الحكيم خرجنا مما وقع فيه المشبِّهة الذين شبّهوا صفات الله بصفات البشر، وخرجنا مما وقع فيه المعطّلة الذين أنكروا أن يكون لله تعالى هذه الصفات وأوّلوها على غير حقيقتها[١].

وبهذا التقرير السهل والمعالجة الراقية من هذا العالم الرباني (رحمه الله) تضيق هوة الخلاف ولربما تردم بين أتباع المذاهب العقدية وهذا الفهم نحتاجه اليوم لأنه هو المطلوب من المكلفين تحقيقه وهو النظر في آثار تلك الصفات ومتعلقاتها وفهم معانيها ليزداد توحيدنا وتقوا عقيدتنا بالله العظيم لا أن نجعل من الصفات محل فرقة ونزاع وتشرذم بين أتباع الملة الواحدة، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) المصدر نفسه، ١٤/ ٨٣٨٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتقال العثرات وتنال المكرمات والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على عظيم الصفات والمبعوث بالرحمات وعلى اله وصحبه ومن اهتدى بهديه وداوم على سنته إلى أن مات.

فبعد أن مَنَّ الله تعالى عليَّ بإتمام هذا البحث ألذي أسأل الله تعالى أن يعم النفع فيه طلبة العلم وأهله، أسطر فيه أبرز ما توصلت إليه من نتائج وكما يأتي:

١- استدل الشيخ الشعراوي على وجود الله تعالى بما هو جديد ومقنع في نفس الوقت لكل من يقرأ ويطالع كلامه في تفسيره وهذا أن دلَّ على شيء فهو يدل على نبوغه وسعة فهمه.

٢- تناول الشيخ الشعراوي قضية توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة بإسلوب سهل ويسير يفهمه العامي فضلا عن العالم دون الإغراق في التعقيدات الكلامية ولا المصطلحات الفلسفية.

٣- بدا لي أن الشيخ الشعراوي في تفسيره لسورة البقرة اتبع في باب الصفات منهج أهل الأثر من علماء هذه الأمة المباركة فلم يجنح لا إلى التأويل ولا إلى التشبيه بل أثبت كل ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه منزها المولى جل في علاه عن مشابهة مخلوقاته.

٤- لم يتعرض الشيخ الشعراوي الى أقوال الفرق العقدية في المباحث التي تناولها عرضا وردا وإنما اكتفى بتفسير النصوص تفسيرا عقديا.

وفي الخاتمة يبقى كل عمل وجهد بشري يعتريه النقص والزلل فان كنت مصيبا فيه فذلك بتوفيق الله تعالى وكرمه وفضله وإن جانبني الصواب فمن نفسي والشيطان واستغفر الله منه.

وصل اللهم على عبدك وخيرتك من خلقك نبينا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً ...

قائمة المصادر

* القرآن الكريم.

١- الشعراوي أنا من سلالة أهل البيت، سعيد أبو العينين، د/ ط.

٢- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت.

٣- خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي (تـ: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٤- تَكملَة مُعجم المُؤلفين (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م)، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٥- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر (تـ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، ١٣٥ط/ ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٦- قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: موسى محمد علي، عالم الكتب - لبنان، ط/ ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧- واتحاف السادة المتقين، محمد بن محمد الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط/ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٨- وعمدة المريد لجوهرة التوحيد، للشيخ ابراهيم اللقاني،(تـ ١٠٤١) تحقيق، رياض جلوب جاسم العيساوي.

٩- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار(تـ٤١٥هـ) بن أحمد، تحقيق، عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ ٣، ١٤١٦ه-١٩٩٦م.

١٠- المحيط بالتكليف، لقاضي القضاة أبي الحسن أحمد عبد الجبار(تـ٤١٥هـ). تحقيق: يآن بيترس، دار المشرق بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

١١- المغني في أبواب التوحيد والعدل ، كتاب إعجاز القرآن ، القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي ، (تـ٤١٥هـ) ، قوم نصه أمين الخولي، ط/ ١ ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٠ م .

١٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٣- الإنصاف فيما يجب الاعتقاد به ولا يجوز الجهل به ، للقاضي الباقلاني ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، ط٢، ١٩٦٣م،مطبعة السنة المحمدية ، مصر.

١٤-المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل - بيروت، ط/ ١ ، ١٩٩٧.

١٥- شرح المقاصد في علم الكلام، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(تـ٧٩٣هـ)، تحقيق، دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، باكستان.

١٦- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، الشيخ ابراهيم بن محمد الباجوري،(١٢٧٦هـ)، ت: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، مكتبة دار البيروتي، دمشق، ط/ ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (تـ ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة.

١٨- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٩- الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (تـ: ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط/ ١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٠- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (تـ٧٥١هـ)، المحقق، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (تـ:٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٢٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (تـ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٢٤- وتاريخ المذاهب الإسلامية ، للإمام محمد أبي زهرة ، ط١٩٩٦م ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

٢٥- الباقلاني وآراؤه الكلامية، الدكتور محمد رمضان عبد الله، مطبعة الأمة، بغداد،١٩٨٦.

٢٦- معجم مقاييس للغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (تـ: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٧- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤، تحقيق : محمد سيد كيلاني.

٢٨- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (تـ: ١٠٣١هـ).

الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، اط/ ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٩- تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (تـ: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م.

٣٠- عقيدة السلف أصحاب الحديث، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (تـ سنة ٤٤٩هـ)، د/ ط.

٣١- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)

المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط/ ١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (تـ: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤١٨هـ.

❊ ❊ ❊